



تتسارع التطورات إبان الشهور الصعبة في النزاع السوري، وتُسلط الأضواء الإعلامية على معركة منبج تمهدًا لمعركة الرقة. لكن الواقع السياسية، هذا الأسبوع، وأبرزها زيارة بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى موسكو، والاجتماع الثلاثي لوزراء الدفاع الروسي والإيراني والسوري في طهران، تعتبر فائقة الأهمية لأنها تكشف عن القفز الروسي على الحبل المشدود في الساحة السورية ما بين أطراف يفترض أنها متخاصمة، وكل ذلك تحت سقف تنسيق جون كيري - سيرجي لافروف. هل يستفيد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (لاعب الجودو) من نهاية ولاية باراك أوباما كي تكسب استراتيجيته الملتسبة بالنقاط ويزهو عندها القيصر الجديد بغنيمة السورية؟ أم تبرز الاستحالة لأن تبديد شبح تنظيم داعش سيضع الكل أمام مسؤولياتهم وعندما يتضح من يزيد الحل السياسي فعليا، ومن يناور للاحتفاظ بالسلطة أو للإمعان في الاتهام والتغطية، وصولاً إلى إعادة تركيب الإقليم في فترة لاحقة؟

قبل زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو إلى موسكو (ثالث زيارة له إلى روسيا منذ سبتمبر 2015) قام الكرملين بخطوة رمزية تمثلت في إعادة دبابة إسرائيلية شاركت في معركة السلطان يعقوب، التي وقعت خلال حرب لبنان في العام 1982. ويبعد أن إعادة "الغنيمة السورية" من المعركة إلى إسرائيل تأتي في إطار تحسين العلاقات بين روسيا وإسرائيل، خصوصاً بعد الدخول الروسي المباشر للحرب السورية. وبالفعل، أعلن المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف "أن زيارات نتنياهو المتكررة إلى موسكو هي ثمرة لعلاقات الثقة القائمة". ولم يقتصر الأمر على التعبير عن مخاوف الجانبين وطمأنة أحدهما الآخر، ولا على التعاون في مجال الزراعة والتكنولوجيا المتقدمة، بل تعداه إلى تنسيق استراتيجي لتفادي الصدام، كما بالنسبة إلى موقع حزب الله في سوريا وتسليحه، أو كما في نزاع أذربيجان - أرمينيا ونقاط تعارض أخرى منها بيع السلاح الإسرائيلي لجورجيا وأوكرانيا وأذربيجان، وبيع السلاح الروسي إلى إيران.

لا بد للمراقب أن يلاحظ أن غياب وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف عن مؤتمر باريس حول الشرق الأوسط في 3

يونيو، واقتاء موسكو بإيفاد ميخائيل بوغدانوف، المبعوث الخاص للرئيس الروسي إلى الشرق الأوسط ونائب وزير الخارجية الروسي، وهذا يعطي دليلاً إضافياً على رغبة موسكو في تجنب أي إزعاج أو نقد محدود لإسرائيل في الملف مع الجانب الفلسطيني. وهكذا تبدو العلاقة الروسية - الإسرائيلية متينة ومستندة إلى مصالح متبادلة كثيرة ووجود ديموغرافي هام لليهود من أصل روسي في إسرائيل. وهكذا لم يكن عبثاً وصف أرييل شارون يوماً لفلاديمير بوتين بأنه صديق إسرائيل الكبير. بالطبع تبقى إسرائيل مقيدة بتبني استراتيجية إزاء واشنطن، لكن بالرغم من تدهور العلاقة الشخصية بين أوباما ونتنياهو، هناك قراءة إسرائيلية ترکز على أنه أياً كان الرئيس الأميركي الجديد، لن تعود واشنطن بذم إلى الشرق الأوسط، وأنه لا بد من التعامل مع اللاعب الروسي بصفته من القوى الدولية المؤثرة في الجوار الإسرائيلي. وبحسب مصادر روسية فإن تفاصيل بوتين ونتنياهو على عدم التركيز على مصير الرئيس السوري لأنه "ليس من أولويات إسرائيل"، بل كان الأهم، بحسب هذه المصادر، هو "التعهد باحترام المصالح الأمنية الإسرائيلية"، مقابل دعم إسرائيل لاستمرار تسلیم واشنطن بالدور الروسي القيادي في الملف السوري.

والملفت للنظر أن تزامن نهاية الزيارة الإسرائيلية إلى موسكو مع استضافة طهران لاجتماع رفيع المستوى بين وزراء دفاع روسيا وإيران وسوريا من "أجل تنسيق المعركة ضد داعش"، كان هذا في ظاهر الأمر حتى لا تربح واشنطن قصبة السباق نحو الرقة، لكن في حقيقة الأمر كان ذلك بغية دراسة تنسيق المواقف بخصوص وقف الأعمال العدائية وإطلاق النار بعد بروز مواقف روسية رفضت في الأسابيع الماضية مجازة إيران والنظام السوري في التصعيد حتى لا يسقط التفاهم مع واشنطن.

كان هناك عتب متبادل في طهران (نتيجة التنسيق الروسي - الإسرائيلي) يطرح البعض في طهران والضاحية الجنوبية لبيروت تساؤلات عن اختراقات في اغتيال مصطفى بدر الدين القائد العسكري والأمني في حزب الله) نتيجة الخسائر الكبرى في معارك جنوب حلب، لكن ذلك تزافق مع مسعى إيراني لانتزاع وعود من روسيا للقيام بعمليات مشتركة واسعة تهدف إلى إسقاط كل الشمال السوري، ودفن الحراك الثوري السوري وتعويم النظام، من خلال استغلال تركيز واشنطن الحصري على الحرب ضد داعش وعلى قرب دخول الإدارة الأمريكية "مرحلة البطة العرجاء".

من خلال القفز على الحبل المشدود، يمسك فلاديمير بوتين بالورقة السورية بشكل عام، مع مراعاة لمصالح إسرائيل وطمأنة إيران ومنظومته بشار الأسد، إضافة إلى الضغط على تركيا، ومحاولة عدم قطع الجسور مع الدول العربية في الخليج. يرتبط نجاح التوجهات الروسية بالقدرة على عدم "استفزاز واشنطن" في حال توسيع العمليات العسكرية، خاصة أن جون كيري يربط اسمه بمحاولة إنقاذ المسار السلمي حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة.

تأمل واشنطن، كما باريس ولندن وبرلين، في أن تلتزم موسكو بما وقعت عليه في فيينا في شهر مايو الماضي، حول بدء الحكم الانتقالي في سوريا في الأول من أغسطس القادم. لكن من يسمع خطاب الأسد الأخير وجريات اجتماع طهران الثلاثي، يتضح له أن الوعود الروسية ستبقى من دون تنفيذ، وأن غبار المعارك ضد تنظيم داعش كفيل بحب الرؤية عن حقيقة اللعبة الجهنمية الدائرة على الأراضي السورية.

المصادر: